

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ الأول من صفر 1442 هـ

أيها المسلمون: لَا رَيْبَ أَنَّ تَغْيِيرَ الْأَخْلَاقِ الَّتِي طُبِعَتْ عَلَيْهَا النَّفْسُ لَيْسَ بِالْأَمْرِ الْهَيِّنِ عَلَى الْعَبْدِ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مُسْتَحْيِلًا، بَلْ مُمَكِّنٌ لِاِكْتِسَابِهِ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ، فَقَدْ أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْمَدْخَلِ إِلَى السَّنَنِ الْكُبْرَى» عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ».

عباد الله: إِنَّ لِكِتَابِ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ أَسْبَابًا، وَمِنْهَا:

الأول: سَلَامَةُ الْعَقِيدَةِ. فَالسُّلُوكُ ثَمَرَةٌ لَهَا؛ وَحَيْثُ أَنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، فَإِذَا صَحَّتِ الْعَقِيدَةُ حُسْنَتِ الْأَخْلَاقُ.

الثاني: الدُّعَاءُ. فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَهْدِيَهُ لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، وَكَانَ يَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، أَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ يُكَبِّرُ، ثُمَّ يَقُولُ: «وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ... اللَّهُمَّ اهْدِنِي لَأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، اصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ»، وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ قُطَيْبَةَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ».

الثالث: عُلُوُّ الْهَمَةِ. قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَوَائِدِ»: فَمَنْ عَلَتْ هِمَّتُهُ وَخَشَعَتْ نَفْسُهُ، اتَّصَفَ بِكُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ، وَمَنْ دَنَتْ هِمَّتُهُ، وَطَغَتْ نَفْسُهُ، اتَّصَفَ بِكُلِّ خُلُقٍ رَذِيلٍ.

الرابع: التغافل عن الزلات. أخرج البيهقي رحمه الله في «شعب الإيمان»: عن الأعمش رحمه الله أنه قال: التغافل يُطْفِئُ شَرًّا كَثِيرًا.

وأخرج أيضًا عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال: العافية عشرة أجزاء، كُلُّهَا فِي التَّغَاوُلِ. وكما قال أبو تمام:

لَيْسَ الْغَيْبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَغَابِي

الْمُتَغَابِي. أَيُّ: الْمُتَغَاوُلِ.

الخامس: غَضُّ الطَّرْفِ عَمَّنْ أَخْطَأَ فِي حَقِّكَ. قال أبو حاتم الرازي رحمه الله في «روضة العقلاء»: مَنْ لَمْ يَعَاشِرِ النَّاسَ عَلَى لُزُومِ الْإِغْضَاءِ عَمَّا يَأْتُونَ مِنَ الْمَكْرُوهِ، وَتَرْكِ التَّوَقُّعِ لِمَا يَأْتُونَ مِنَ الْمَحْبُوبِ، كَانَ إِلَى تَكْدِيرِ عَيْشِهِ أَقْرَبَ مِنْهُ إِلَى صَفَائِهِ، وَإِلَى أَنْ يَدْفَعَهُ الْوَقْتُ إِلَى الْعِدَاوَةِ وَالْبُغْضَاءِ أَقْرَبُ مِنْهُ إِلَى أَنْ يَنَالَ مِنْهُمْ الْوِدَادَ وَتَرْكَ الشَّحْنَاءِ.

السادس: إقالة ذوي الهيئات عثراتهم. أخرج أحمد، وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ، إِلَّا الْحُدُودَ».

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في «بدائع الفوائد»: الظاهر أنهم ذوو الأقدار بين الناس، مِنَ الْجَاهِ وَالشَّرَفِ وَالسُّودِّ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّهْمُ بِنُوعِ تَكْرِيمٍ وَتَفْضِيلٍ عَلَى بَنِي جَنْسِهِمْ، فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُسْتَوْرًا مَشْهُورًا بِالْخَيْرِ حَتَّى كَبَا بِهِ جَوَادُهُ، وَنَبَا عَضْبُ صَبْرِهِ، وَأُدِيلَ عَلَيْهِ شَيْطَانُهُ، فَلَا يُتَسَارَعُ إِلَى تَأْنِيهِ وَعَقُوبَتِهِ، بَلْ تُقَالُ عَثْرَتُهُ، مَا لَمْ يَكُنْ حَدًّا مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَتَعَيَّنُ اسْتِيفَاؤُهُ مِنَ الشَّرِيفِ، كَمَا يَتَعَيَّنُ أَخْذُهُ مِنَ الْوَضِيعِ.

السابع: مصاحبة الأخيار، وأهل الأخلاق الفاضلة. فإنَّ للأصحابِ أثرًا كبيرًا في السلوكِ،

أخرج أبو داود، والترمذي، وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُمُ اللَّهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ».

قال ابن الجوزي رَحِمَهُمُ اللَّهُ في «صيد الخاطر»: ما رأيت أكثر أذى للمؤمن من مخالطة من لا يصلح؛ فإنَّ الطبع يسرق، فإن لم يتشبه بهم، ولم يسرق منهم، فتر عن عمله.

الثامن: قراءة سير السلف الصالح: فإنَّ قراءة سيرهم مما يحرك العزيمة على اكتساب المعالي، ومكارم الأخلاق.

أيها المسلمون: إنَّ حرب الشائعات والأراجيف له خطورتها على أمن المجتمع واطمئنانه: قال الله ﷻ: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

إنَّ العاقل اللبيب لا يتكلم إلا إذا ثبت من صحة كلامه، ثم ينظر في جدوى نشره، فإن كان في نشره اجتماع ألفة على الخير نشره وأظهره، وإلا كتمه وأخفاه.

عباد الله: إنَّ حراسة الأوطان من الأعداء مطلب شرعي، أخرج الترمذي، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُمُ اللَّهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

أيها المسلمون: اعتبروا بالبلاد التي نزع منها الأمن والأمان حولكم، فهم في فزع وذعر، وقلق واضطراب يعيشون، وبطعامهم لا يهنؤون، وبشراهم لا يتلذذون، وفي نومهم لا يستريحون، فالكل ينتظر حتفه بين لحظة وأخرى.